



ناشطة نسوية لاكثر من نصف قرن

بشرى برتو

أهم هدفين ينبغي ان

يطمح لها النشاط السياسي..

سيادة القانون وحقوق الانسان

ممثلة منتخبة عن صفى في لجنة الاضراب. بعد ما يقرب من عام من ذلك التاريخ عاد نوري السعيد الى الحكم وفي نيته توقيع الحلف التركي- العراقي المعروف باسم حلف بغداد الذي كان نواة حلف اسنتو بعد انضمام بريطانيا والولايات المتحدة اليه. وفي حملته التحضيرية لهذا الحلف جمد الحياة العامة فأغلق الصحف وحل كافة المنظمات والنوادي وكل شكل من اشكال التنظيم في البلاد على ان تقدم جميع هذه المؤسسات طلبات اجازتها من جديد وصاحب ذلك حملة واسعة من فصل اعداد كبيرة من الطلبة وحتى الموظفين وكنت انا من ضمن المفصولين في كلية الصيدلة والكيمياء وكنا اربعة لصفر عدد طلاب الكلية.

(نون)- وبعد التخرج ماذا عملت؟

- تخرجت من جامعة جنيف/ سويسرا بكلوريوس علوم في الكيمياء، ووصلت العراق في السنة الثانية لثورة تموز (١٩٥٨) فعملت معيدة في الكلية الطبية مع الاستاذة الجليلة د. سعاد القصاب في الكيمياء الحيوية. وفي عام ١٩٦٢ تزوجت من د. رحيم عجينة وكان حينها عضوا في سكرتارية اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي. وقد كلفه الحزب، عادة انتخاب الاتحاد لعضوية مكتب اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي، بالعمل في مقر الاتحاد العالمي في بودابست ممثلا للشبيبة الديمقراطية العراقية. وفي هذا الاتحاد استلمت مسؤولية لجنة الشباب وعملت فيها باندفاع وحماس رغم انها لم تكن تحظى بالاهتمام الكافي من الاتحاد، واستطعت تنظيم مؤتمر عالمي للشابات كان أول مؤتمر يعقده الاتحاد لهن واعتقد انه ما يزال المؤتمر الوحيد في تاريخ الاتحاد العالمي.

ونحن في بودابست، وقع انقلاب البعث

في بغداد فقط وانما في المحافظات ايضا وقد ساعدنا الحزب في توسيع هذه الصلات، إذ جند كافة تنظيماته النسائية لخدمة "الجمعية". ولكن رد وزارة الخارجية جاءنا في الوقت المحدد بالضبط وكان برفض منح الاجازة. ولكننا لم نوقف نشاطنا ولم نقطع صلاتنا. وبعد فترة تقرب من السنة على هذا الوضع تدارسنا وقررنا مواصلة العمل السري ولكن تحت اسم منظمة سرية جديدة هي "رابطة الدفاع عن حقوق المرأة". وهنا كنت بين المؤسسات للرابطة. وفي هذه الفترة بالذات تم فصلي من الكلية بسبب نشاطي الطلابي وقرر والدي ارسالي للدراسة خارج العراق إذ كنت قد انهيت السنة الثالثة في الكلية فغادرت العراق الى بلجيكا للدراسة فيها وانقطعت عن النشاط اليومي للرابطة ولم أعد للعراق الا بعد خمس سنوات وكانت ثورة تموز قد وقعت والرابطة اجيزت. وعند وصولي الى بغداد كانت الرابطة في سبيل عقد مؤتمرها الثاني الذي انتخبت فيه الى هيئة سكرتارية المنظمة. منذ ذلك الوقت بقيت في قيادتها الى حين اختياري من قبل الحزب لتمثيله في نقابة المعلمين واستلمت مهامى في العمل النسوي للحزب المناضلة الباسلة الشهيدة عايدة ياسين التي غيبها نظام صدام حسين في احد معتقلاته عام ١٩٨٠.

(نون)- لماذا فصلت من الكلية؟

- كنت منذ الدراسة الثانوية عضوة نشيطة في "اتحاد الطلبة العراقي العام". وفي الكلية، "كلية الصيدلة والكيمياء" نظمنا اضراب الطلبة الشهير عام ١٩٥٢ احتجاجا على قانون مجحف بحق الطلبة ارادت اصداره ادارة الكلية. وقد تطور هذا الاضراب بعد ان دام أكثر من شهر ليصبح موقد شعلة انتفاضة تشرين الشعبية. وكنت احدى قادة هذا الاضراب

(نون)- بعد أعوام طويلة من النضال الحزبي والنشاط النسوي واتحاد الطلبة العراقي العام ورابطة المرأة العراقية واتحاد الشبيبة الديمقراطي وحركة السلم والتضامن، ومرشحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٩٧٥.. ما زالت السيدة بشرى برتو تعمل من أجل قضية المرأة. وهي حاليا تتمتع باستقلال تنظيمي مع أنها حسب قولها "ما زلت احتفظ بهويتي وسمعتي الحزبية، والمسألة فقط هي انني قررت بعد ان جاوزت الستين من العمر ان اتخذ قراراتي السياسية والفكرية بنفسى، ومن أجل ذلك طلبت من الحزب ان يعتبرني متقاعد ولكن الاحزاب لا تعرف التقاعد لذا اصبحت خارج التنظيم".

(نون)- في البدء نود ان تحدثنا عن

بداياتك مع العمل النسوي في العراق.

- كنت ناشطة في الحركة الطلابية حين بدأ التوجه لتشكيل المنظمة النسائية "الرابطة" وكان تأسيسها على مرحلتين. في المرحلة الاولى تقدمت خمسون امرأة من اتجاهات مختلفة بطلب الى الحكومة الملكية لاجازتهن رسميا لتشكيل منظمة نسائية تحت اسم "جمعية تحرير المرأة" وكان قانون الجمعيات يسمح للهيئة المؤسسة بالقيام بالنشاطات الضرورية لعملها حتى يصلها رد وزارة الداخلية بالموافقة او الرفض وفي الحالة الاخيرة تنتفي صفتها الشرعية، وحدد القانون فترة شهر للوزارة لاعطاء جوابها واذا ما تجاوزت ذلك دون رد تعتبر المنظمة قد حصلت على الشرعية القانونية. لم أكن ضمن الخمسين ممن قدم من طلب الاجازة لصغر سني ذلك الوقت ولكنني كنت مرتبطة بهن، ومن الفتيات النشيطات داخل المجموعة. وهكذا نشطنا في ذلك الشهر نشاطا واسعا حقوا وتكونت لنا صلات واسعة ليس

- عند عودتي أول مرة الى بغداد عام ٢٠٠٣ أي بعد سقوط النظام السابق حضرت أول مؤتمر نسائي يعقد فيها والتقيت بالعديد من نخب النساء ومن مختلف الاتجاهات، وقد أعجبت بالكثير منهن فنوعية النساء الناشطات الآن تمتاز بمستوى ثقافي أعلى مما كانت ناشطاتنا عليه ويتمتعن بسبب ذلك بكفاءات أعلى ولكن اسلوب العمل يختلف عن اسلوبنا سابقا. فعمل التنظيمات النسائية الآن ينحصر ضمن ما يسمى بمنظمات المجتمع المدني الذي لم تكن نعرفه سابقا ولم تكن لدينا صلات وثيقة بالعالم الغربي حيث يسود نشاط مثل هذه التنظيمات. سابقا كنا ننشط من أجل تكوين منظمات جماهيرية ديمقراطية في اسلوب عملها وهي تختلف الى حد ما عن تنظيمات المجتمع المدني او المنظمات غير الحكومية كما تسمى. واعتقد ان الشككين من أساليب العمل مهمان، كما اعتقد ان الجمع بين الاسلوبين ضروري لتتكامل فاعلية الحركة النسائية. وفي ظروف العراق الحالية أعتقد ان اهم قضيتين ينبغي الاهتمام بهما هما قضية سيادة القانون على الجميع وقضية حقوق الانسان للجميع سواء كان ذلك على صعيد العمل السياسي ام الاجتماعي.

نون أفضل مجلة نسائية

وقبل ان تنهي حديثها الشيق معنا أشادت الناشطة النسوية بشرى برتو بمجلة نون قائلة ” كنا نصدر في الرابطة اثناء حياتها العلنية مجلة ”صوت المرأة“ وكانت مجلة مقبولة ولكنها ضعيفة الامكانيات والموارد المالية رغم انها حظت بصحفتين ممتازتين لتحريرها هما الصحفية البارزة السيدة سلوى زكو والسيدة بديعة أمين ولكنها لم تصل الى ما وصلته ”نون“. أنا معجبة جدا بـ ”نون“ إذ ارى انها خلافا للعديد من المجلات النسائية الاخرى تجلب اهتمام النساء بأمر مجتمعهن ولا تبعدهن عنه أو

تدفع بهن لكي يكن على هامش الحياة الحقيقية للمجتمع، كما ان اللقاءات فيها جميلة ونافعة ومنوعة الاتجاهات، ولا بد ان أشيد بشكل خاص بمراسلات المجلة فاخياراتهن لما يطرحنه من مشاكل واخبار مثقفة ورافعة من وعي المرأة بمجتمعها ومشاكله. أتمنى لها الاستمرار فهي بحق أفضل مجلة نسائية عرفتتها رغم انني قضيت أكثر من نصف قرن ناشطة في العمل النسائي.

وبمقدور الانسان ان كانت تحركه افكار سامية. فقد بنوا قاعات للانصار وغرفا للنصيرات وغرفا أخرى للمتزوجين كما كان الحال بالنسبة لي. الى جانب ذلك يوجد حمام شرقي ومطبخ لاعداد الوجبات. وكان العمل يوزع على الجميع فالكل يطبخ حسب دوره أو يخبز أو يعد الحمام وبالطبع كان دور الشباب اكبر في الاعمال القاسية مثل العناية بالبالغ أو أمور البناء ولكن ذلك لا يعني أن الفتيات لم يكن بعضهن يساهمن في هذه الاعمال. المقرات التي عشنا فيها لم تكن مقرات قتالية وانما اختص عملها بالاعلام وكان لدينا اذاعة ومطبعة لطباعة الادبيات وتشكلت هيئات تحرير سواء للاذاعة ام لصحيفة الحزب ام لصحافة مختلف المنظمات الديمقراطية التي لم تعد قادرة على العمل في بغداد او المدن الاخرى. وكانت جميع الفتيات يشاركن في الحراسات الليلية وكان كلهن مدربات على القتال. أما التمويل فكان يأتي من أيران لكننا كنا نتقطع كليا في الشتاء بسبب الثلوج الكثيرة فالمواقع كانت في أحضان جبال شاهقة جدا، كان المسؤولون عن شراء ونقل التمويل يستفيدون من أوراق عدم التعرض الخاصة بالحزب الديمقراطي الكردستاني. الى جانب كل ذلك كانت مقراتنا تضم أطباء وطبيبات ومهندسين ومهندسات لراديو والطباعة والاتصالات اللاسلكية. وقد أجرى جراحونا عمليات كبرى للمقاتلين أو لأهالي المنطقة كما نظمت عيادات مجانية لسكان المنطقة وعيادات للنساء. ووجد في أحد المقرات طبيب أسنان كان يشار اليه بالبنان وكان الانصار من مختلف المواقع يذهبون لعيادته مشيا على الاقدام أياما وليال لتلقي العلاج.

(نون)- كيف تنظرين الى المرأة العراقية

اليوم وما هو رأيك بالنشاطات النسوية؟

١٩٦٣ الذي نظم فيه حزب البعث تصفيات واسعة للشيوعيين وقد نفذنا منها بسبب وجودنا خارج العراق. في عام ١٩٦٧ وفي زمن عبد الرحمن عارف عدنا الى العراق وبعودتي اكتشفت ان عضوات الرابطة غير الشيوعيات اعدوا تنظيمات الرابطة السرية واستأنفوا نشاطها وهن كل من د.روز خدوري والاستاذتان سالمة الضخري وحسيبة رشدي الملا حمادي ود. سميرة أديب وكن من قيادة الرابطة في زمنها العلني فانظمت اليهن وبقينا نعمل رغم الظروف الصعبة الى ما بعد حصول انقلاب البعث الثاني عام ١٩٦٨.

(نون)- ما هي قصة عملك في جبال

كردستان؟

- بعد انضام الجبهة بين الحزب الشيوعي وحزب البعث شن الاخير هجوما واسعا على الشيوعيين. فلجأ العديد من كوادر الحزب الي كردستان لحماية أنفسهم ثم صاروا يطالبون ان يتخذ الحزب قرارا بشن كفاح مسلح لاسقاط نظام البعث وانضمت أصوات أغلبية أعضاء الحزب الى أصواتهم وتبنى الحزب الكفاح المسلح بتشكيل ”حركة الانصار الشيوعيين“. لم اتم للحركة في بداياتها فقد تصورت انها للشباب المقاتل فقط وكننت قد قاربت الخمسين من عمري. ولكنني ذهبت الى مقرات الانصار في بداية الثمانينات لحضور اجتماع اللجنة المركزية الذي عقد هناك. وبعد اطلاعي عن كذب على الوضع هناك ادركت انني قادرة على العيش في هذه المواقع وقادرة ان اقدم الكثير ايضا. ولقيت رغبتني هوى من زوجي ايضا وطالبنا بضمنا الى قوات الحركة وتوجهنا الى هناك عام ١٩٨٢. سكننا في مقرات الاعلام وقيادة الحزب الواقعة على المثلث الحدودي بين تركيا-ايران-العراق وبقينا هناك حتى منتصف عام ١٩٨٦ بعد ان أخذ صدام يستخدم

الغازات الكيماوية بسعة

وشدة ضد حركة الانصار شأنها شأن بقية حركات الكفاح المسلح الاخرى ولاسيما قوات الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني.

(نون)- وكيف كانت

حياة النساء في الجبل؟

- بنى الانصار مقراتهم بشكل مقبول فيه الحد الأدنى من امكانية العيش براحة نسبية مع ضرورة التكيف مع البعد عن كافة وسائل الحضارة وقد وجدت ان هذا التكيف هو سهل

